بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : فهذا بحث حساس يبين موقف الإسلام من غير المسلمين ، سلماً وحرباً ، تعايشاً وتقاطعاً ، ويوضح مدى التسامح والاحترام والتقدير مع غير المسلمين ، خلافاً لما يتصورونه بدافع الكراهية والحقد ، والولاء لقوى خارجية معادية ، وسوء فهم للنظام الإسلامي وسموه وعدالته ورحمته بالناس قاطبة .

فهناك تصور متوارث قائم في الأذهان لدى غير المسلمين ، وعند عوامّ المسلمين في الماضي والحاضر ، بصدد علاقة المسلمين بغيرهم ، ألا وهو دمج نشر الدعوة

الإسلامية في أنحاء العالم ـ ومنها قارّات آسيا وإفريقية وأوروبا ـ بنظام الجهاد في الإسلام ، أي أن انتشار الدعوة الإسلامية في هذه القارات الثلاث مرتبط ـ في حيز هذا التصور ـ بالمعارك الحربية التي خاضها المسلمون على مدى عشر سنوات ، بعد الهجرة من مكة إلى المدينة سنة ٦٢٢ م ، ثم استمرار هذه الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، وما تلاه من العصور الإسلامية ، وأنه لولا تلك المعارك لما انتشرت دعوة الإسلام في أنحاء الأرض .

وهذا ـ في واقع الأمر ـ خطأ واضح وخلط بيّن ، لأنه يجب الفصل التام بين انتشار الدعوة الإسلامية فكراً ، وعقيدة ، ومنهاجاً ، وأخلاقاً ، ونظام حياة ، بالطواعية والاختيار والإقناع ، وبين اتساع البلاد الإسلامية من طريق الفتوحات ، وإحراز النصر على القوى الشريرة الغاشمة ، التي بدأت المسلمين بالحرب ، وجندت الجيوش الجرارة من مشركي العرب وشعوب الروم والفرس ، هادفةً القضاء على المسلمين ، وإطفاء نور الإسلام في مهده ، وفتنة المسلمين عن دينهم ، وإيقاف الزحف الفكري والحضاري والثقافي الإسلامي .

إن انتشار الدعوة تم فعلاً بأسلوب الإقناع ، وعن طريق الاقتناع الحر الذاتي ، وبالحكمة والموعظة الحسنة ، وبجهود الوعاظ ، أو الخطباء ، والتجار ، ودعاة الإسلام ، الذين التزموا في مواقفهم ومعاملاتهم جانب القدوة الحسنة ، وضربوا المثل العالي في التحلي بغُرر الخصال ، ورفيع الأخلاق ، وسلامة منطق الاعتراف بوحدانية الله تعالى ، ومعجزات القرآن ، ونبي الإسلام ، وكونه خاتم النبيين .

ولم يعرف التاريخ ، على الصعيدين الجماعي والفردي ، أي حادثة إكراه أو إجبار على اعتناق الإسلام ، وإنما كان غير المسلم حراً حرية تامة في البقاء على دينه ، دون إعنات ولا مضايقة ولا قسر على تغيير عقيدته .

وأما الجهاد ، سواء في نطاق تطهير الجزيرة العربية من الشرك والوثنية أو عبادة الأوثان ، أو فيما عداها من بلاد الروم والفرس وغيرهما ، فكان في الواقع دحراً للعدوان ، وتخلصاً من الظلم والطغيان ، وتمكيناً من حرية الأديان ، وإرساءً لمعالم الحق والعدل والفضيلة ، وإعلاء لكرامة الإنسان ، ومنعاً لأشكال وممارسات الاستعباد والتسلط والظلم جميعها ، وإنهاء لمحاور الفتنة وحبك المؤامرات ضد الدين

الحق ، والاعتداء على حرمات المسلمين ، سواء في أشخاصهم وديارهم ، أو على دعاتهم ورسلهم في كل مكان ، لتبليغ الدعوة الإلهية وخاتمة الشرائع ، والحفاظ على جوهر العقيدة التي جاء بها رسل الله الكرام ، من إقرار مبدأ وحدانية الألوهية والربوبية ، والتزام طريق عبادة الله وحده ، دون أن يشوبها أي شيء ، أو شبهة ، أو لوثة من عبادة البشر ، وتقديس أولئك الحكام الجبابرة والطواغيت ، الذين استماتوا في سبيل الحفاظ على مراكز قواهم وسلطانهم وعروشهم .

وسيتبين لنا حقيقة الفرق بين انتشار الإسلام ، وبين أغراض الجهاد وموجباته ، من خلال البحوث التالية ، كما سيتبين ـ أيضاً ـ حقيقة الاجتهادات الإسلامية التي رسمت للمسلمين منهاج علاقة المسلمين بغيرهم ، في ضوء الواقع المستمر القائم على تجدد اعتداءات غير المسلمين ، ومواصلة عدوانهم ، ومتابعة تخطيطهم الدائم للثأر من المسلمين ، وطردهم من البلاد التي افتتحوها ، واستقر كيانهم في ربوعها .

ولاتزال هذه المحاولات مستمرة ، ابتداء من القرون

الوسطى ، وما شهدت من مذابح المسلمين ، وطردهم من الأندلس (إسبانيا) ، إلى طرد العرب من فلسطين ، وإقامة الكيان الصهيوني الحاقد البغيض ، إلى مذابح المسلمين المتكررة في الهند ، وكشمير المسلمة ، والفلبين ، والصومال ، والحبشة (أثيوبيا) وأريتريا ، وأفغانستان ، وغيرها من محاولات لمّا تنتهي بعد ، وهذا البحث يتناول خمسة محاور :

الأول ـ هل الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم السلم أو الحرب ؟

الثاني ـ أحكام الحرب وموجباتها وآثارها (الفرق بين الحرب والجهاد) .

الثالث ـ آثار الحرب أو أحكامها .

الرابع ـ متى يجنح إلى السلم ؟

الخامس ـ مفهوم أهل الذمة وأهل الكتاب .